

التركيبُ المتوازِيَّة في ديوان ابن سَناء الملك

د. فتوح أحمد خليل^(*)

مقدمة:

الحمدُ لله جامع الناس ليوم لا ريبَ فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير ولا شبيهه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المكمّل الوجيه، المصطفى على جميع الخلق فجلاً مُصطفيّه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم من متفقّه وخامل ونبيه. وبعد....

فإن عملية التوازي التي تستعملها اللغة الشعريّة لا تدل على مجرد لعب لغويّ، أو إضافة عناصر ثانوية بقدر ما تنتج تأثيراً دلاليّاً، "يفسر علاقة الدوال بالمدلولات وشبكتهما في القول الشعري" (١)، وقد لا نخطئ حين نقول بأن كل زخرف في الشعر يبدأ بالتوازي الذي يفرضه الوزن، "فالبنية التطريزية للبيت، والوحدة النغمية وتكرار البيت والأجزاء العروضية التي تكوّنهُ تقتضي من عناصر الدلالة النحوية والمعجمية توزيعاً متوازياً" (٢).

ولا ريبَ في أنّ المركبات المتوازية تعدّ إحدى وسائل الترابط النصي على المستويين: الأفقي والرأسي، ويتحقق ذلك الترابط عن طريق خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، التي يعبر عنها بالمتتاليات النصية، التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني (٣). فالمتتاليات النصية ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصّاً إلا إذا تحققت لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكيئونه واستمراريته (٤).

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(١) بلاغة الخطاب و علم النص ١٣٦

(٢) المفاهيم المتعلقة بدراسة الشعر عند الشكلايين:

<http://thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg/>

(٣) نظرية السياق بين القدامى والمحدثين ٣٤١

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري ١٥٤

ومما يميز النص الشعري عن غيره من النصوص الإبداعية الأخرى أن ربطه يتحقق من خلال: الوزن، والقافية، وهذا مما يعد ترابطاً رأسياً. ومعلوم أن التنظيم النحوي يتيح للشطر الشعري، أو البيت الشعري تماسكا شكلياً، وذلك من خلال تكرار المباني مع اختلاف العناصر، مع الظواهر التركيبية الأخرى، كالحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، مما يحقق للمركبات المتوازية درجة أعلى من التماسك النصي.

الهدف من هذا البحث :

يهدف هذا البحث إلى دراسة (المركبات المتوازية) في ديوان ابن سناء الملك^(٥) دراسة نحوية ودلالية، إذ لوحظ أن ابن سناء الملك واحد ممن يجيدون استخدام ظاهرة التوازي والتكرار، وذلك على المستوى التركيبي والنحوي، فضلاً عن تحليل تلك الظاهرة في ذلك الديوان تحليلاً لغوياً؛ ذلك لأن النص الأدبي يتضمن أسراراً لغوية، لها أبعادها التي تسهم في معطيات الدراسات النصية الحديثة - أعني نحو النص تحديداً - ذلك النوع من الدراسات التي تتخذ الوحدة اللغوية الكبرى مجالاً لها في دراسة

(٥) هو القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي (٥٥٠ هـ - ٦٠٨ هـ) الشاعر المشهور، صاحب الديوان الشعري البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء، وكان كثير التخصص والتنعم، وأفر السعادة، محظوظاً في الدنيا. أخذ الحديث عن الحافظ السلفي الأصفهاني، اختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر روح الحيوان، وله كتاب مصائد الشوارد، جمع فيه شيئاً من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل وسماه فصوص الفصول. وكان ملماً ببعض اللغات الأجنبية، فهو يجيد الفارسية ويتقنها، قيل: " كان مغالياً في التشيع"، وتوفي في شهر رمضان، ودفن بالقاهرة.

راجع : الاغتباط في حلي مدينة القسطنطينية / ٢ / ٢٩٣ ، والوفاي بالوفيات ٧ / ٣٧٦ ، والأعلام للزركلي ٨ / ٧١ وشذرات الذهب ٤ / ٧٣ ومراة الجنان ٨ / ١٣٢ وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٨٠

الإبداعات الأدبية، خلافاً لنحو الجملة ، الذي يتخذ الجملة – فقط – مجالاً للتحليل.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول بأنّ مجال نحو النص هاهنا هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في النص من خلال النص موضوع الدراسة، " وذلك يتطلب إخضاع التحليل النحوي لعمليات التحليل البنيوي في الأدب(٦).

وسوف أتناول في هذا البحث عدداً من المسائل :

الأولى : مفهوم التوازي .

والثانية : مفهوم المركبات المتوازية.

والثالثة : التوازي في التراث العربي، وتشمل :

أ – التوازي في القرآن الكريم.

ب – التوازي في الحديث الشريف.

ج – التوازي في الشعر العربي، وتُعالج هذه المسألة عن طريق

النظر في:

١ – التوازي والشعر.

٢ – التوازي في الشعر العربي القديم.

د – التوازي في المتنور من كلام العرب .

والمسألة الرابعة : التوازي عند المحدثين .

والخامسة : المركبات المتوازية في ديوان ابن سناء الملك، دراسة

في النوع والمستوى.

والسادسة : الأبعاد الدلالية لظاهرة التوازي في ديوان ابن سناء

الملك .

(٦) نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب ص ٤

المسألة الأولى : مفهوم (التوازي) :

أ - التوازي في اللغة :

يأتي مفهوم التوازي أو الموازة في لغة العرب بمعنى: المقابلة والمواجهة^(٧)، وذكر التهانوي أن "المُوازَاةَ عِنْدَ الحُكَمَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ هِيَ الإِتِّحَادُ فِي المَوْضِعِ وَتُسَمَّى بِالمُحَادَاةِ أَيْضاً.....، وَتَوَازَى النِّقَاطُ كَوْنُهَا عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ لَا يَكُونُ بَعْضُهَا أَرْفَعُ، وَبَعْضُهَا أَخْفَضُ"^(٨) ، وقال صاحب المصباح : "وَإِزَاهُ مُوَازَاةٌ أَيْ : حَادَاهُ، وَرَبَّمَا أَبْدَلْتَ الوَاوُ هَمْزَةً فَقِيلَ إِزَاهُ"^(٩).

ب - التوازي في الاصطلاح:

يمكن القول بأنّ التوازي " هو التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في النصّ الأدبي " (١٠) سواءً كان منظوماً أو منشوراً ، أو هو متواليتان متعاقبتان أو أكثر، للنظام النحوي أو الصرفي، مع المصاحبة بتكرارات أو اختلافات تتشابه إيقاعياً وصوتياً أو دلاليّاً، وعادة ما يكون التشابه بين التركيبين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث المضمون والدلالة ، ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب، "ويشترط في التوازي عنصر التوالي، دون وجود فاصل بين الجمل المتوازية"^(١١).

(٧) ابن منظور، اللسان، مادة (وزى).

(٨) الكشف باب الواو فصل الياء

(٩) المصباح المنير ١٠ / ٣٣٥

(١٠) محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، البيضاء ١٩٩٦، ص ٩٧.

(١١) الجمل المتوازية عند طه حسين، لرجب عبد الجواد، دراسة في أحلام شهر زاد، مجلة علوم اللغة، المجلد ٣، العدد ٤، عام ٢٠٠٠م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٢٣١.

المسألة الثانية : مفهوم المركبات المتوازية:

وأعني بالمركبات المتوازية في نطاق هذا البحث: تلك المركبات التي يعمد ابن سناء الملك إلى تقطيعها في شعره " تقطيعاً متساوياً، في الطول، والإيقاع، والتكوين، بحيث تتعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة" (١٢)، على أن تتفق في البناء النحوي اتفاقاً تاماً، سواءً اتفقت هذه المركبات في الدلالة أم لم تتفق؛ " فالمهم هو التطابق التام في البناء النحوي للمركبات المتوازية" (١٣).

ولا يمكن لتلك المركبات أن تنعت بالتوازي إلا إذا توالى فيها الأبنية تواليًا متصلًا، فإذا تَوَازَى تركيبان غير متواليين، فلا يدخل ذلك في نطاق هذه الظاهرة، وذلك لوجود أجنبي يفصل بين تلك المركبات المتوازية، فإذا وجد ذلك الفاصل فقدَ ذلك النَّصُّ التوازي المقصود، فضلاً عن فقدانه كثيراً من الأبعاد الدلالية المقصودة من هذا التوازي (١٤).

المسألة الثالثة : التوازي في التراث العربي :

أ – في القرآن الكريم:

لوحظ أنَّ التوازي قد جاء في القرآن العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (١٥)، وقوله: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} " أو كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بِلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا }.

ب – في الحديث النبوي الشريف:

وممَّا جاء في الحديث الشريف متضمنا ما نحن بصددده من التوازي ما رواه أبو هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١٢) البديع والتوازي ٧

(١٣) الجمل المتوازية عند طه حسين ٢٣١ والجمل المتوازية في ديوان

أبي القاسم الشابي ٣٣

(١٤) الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ٣٣

(١٥) سورة الصافات ١١٧-١١٨

وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْقَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (١٦).

ومنه ما جاء في حديث جرير بن عبد الله البجليّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن منزله ببيشة، فقال: "سهلٌ ودَكَدَاكٌ، وسَلَمٌ وأرَاكٌ، وحِمَضٌ وَعَلَاكٌ، إلى نخلة ونخلة، ماؤها ينبوعٌ، وجنابها مريعٌ، وشتاؤها ربيعٌ". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن خيرَ الماءِ الشبِّيمَ، وخيرَ المالِ الغنمَ، وخيرُ المرعى الأراكُ والسَلَمُ، إذا أخلف كان لُجِينَا ، وإذا سقط كان دُرِينَا" (١٧).

قال ابن قتيبة: " وفي الحديث أنه قال : " خلق الله الأرض السفلى من الزبد الجفاء ، والماء الكباء " (١٨).

ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - للأَنْصَارِ يَفْضَلُهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ: " إنكم لتكثرُونَ عند الفَرْعِ، وتَقْتُلُونَ عند الطَّمَعِ " (١٩) ، وقوله : " رحم الله عبداً تكلم فَعْتِمَ، أو سكت فَسَلِمَ " (٢٠) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: " لا تزال أمتي بخير، ما لم ترَ الأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا " (٢١) ، وقوله : " إياكم والمشارّة ، فإنها تميت الغرّة وتحي العرّة " (٢٢) . وقوله : "أيّها الناسُ، أفشوا السّلامَ، وأطعموا الطّعامَ، وصلّوا الأرحامَ، وصلّوا بالليل، والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام " (٢٣).

(١٦) صحيح البخاري (باب إكرام الضيف وخدمته) .

(١٧) العقد الفريد ١ / ١٠٧

(١٨) غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٢٣٥

(١٩) كنز العمال ١٤ / ٦٦ وتحفة الأحوزي ٩ / ٣٤٨ (في فضل الأنصار وقريش).

(٢٠) شعب الإيمان للبيهقي ١٠ / ٤٣٦

(٢١) كنز العمال ١١ / ١٢٢

(٢٢) الكافي ٣ / ٣٥٢

(٢٣) سنن الترمذي ٩ / ص ٢٥

ج - التوازي في الشّعر العربي القديم :

ورد هذا المفهوم عند أبي هلال العسكري^(٢٤) تحت ما يسمى بالتشطير ، قال: " التشطير: وهو أن يتوازن المصراعان والجزآن، وتتبادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه، واستغنائه عن صاحبه، فمثاله من النثر قول بعضهم: من عتب على الزمان طالعت معتبته، ومن رضى عن الزمان طابت معيشته. وقال الآخر: الجود خير من البخل، والمنع خير من المطل. وقول الآخر: رأس المداراة ترك المماراة، فالجزآن من هذه الفصول متوازنا الألفاظ والأبنية.

وأما مثاله من المنظوم، فكقول أوس بن حجر:

فتحدركم عيسٌ إينا وعامرٌ وترفعنا بكرٌ إليكم وتغلبُ
وقول الآخر:

فأما الذي يُحصيهم **فمكثّر** وأما الذي يطريهم فمقلّل

ومن شعر المحدثين قول البحترى:

شوقي إليك تفيض منه الأدمعُ وجوى إليك تضيق عنه الأضلعُ
وقول أبي تمام:

بمصعدٍ من حسنه ومصوبٍ ومجمّع من نعته ومفرّق^(٢٥)

(²⁴) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري أيضاً.

كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً. وممن روى عنه: أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إماماً. له " تفسير " في خمس مجلدات، وله كتاب " الأوائل " وكتاب " الصناعتين " في النظم والنثر وكتاب " الأمثال " و " شرح الحماسة " وغير ذلك، وله " ديوان شعر ". وكان عالماً عفيفاً يبتزّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذّل، وكان الغالب عليه الأدب والشعر، مات بعد الأربعمئة.

راجع : طبقات المفسرين - (ج ١ / ص ٦) و الوافي بالوفيات - (ج

٤ / ص ١٥٢) الأعلام للزركلي - (ج ٢ / ص ١٩٦)

(²⁵) كتاب الصناعتين ١٢٤

هذا ، وقد فطن إلى هذه الظاهرة ابن أبي الإصبع (٥٩٥ - ٦٥٤هـ = ١١٩٨ - ١٢٥٦ م) (٢٦) وأدرجها تحت ما يسمى بالتجزئة ، فقال: " باب التجزئة: وهو أن الشاعر يجزئ البيت من الشعر جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلها على رويين مختلفين، جزء يجزء، إلى آخر البيت الأول من الجزأين، على روى مخالف لروى البيت، والثاني على روى البيت كقول الشاعر :

هنديّة لحظاتها، خطية خطراتها، دارية نفحاتها(٢٧)

كما فطن إليها - أيضا - أبو القاسم الأمدي (٢٨) في كتاب [الموازنة بين شعري الطائيين] - وقد ساق ما اتصل بهذه الظاهرة اتصالا واشجأ - كقول العباس بن الأحنف:

وصالكم هجرٌ وحبكمُ قليٌّ وعطفكمُ صدٌّ وسلمكمُ حربٌ

وقولُ أبي الطيب:

فحنن في جدلٍ والرؤمُ في وجَلٍ

والبرُّ في شغلٍ والبحرُ في حَجَلٍ(٢٩)

وقول الآخر :

محلّك مقصودٌ وشاتيك مُقَمَّمٌ ومثلّك مفقودٌ ونيلك خِضْرُمٌ

(26) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - (ج ٢ / ص ١٣٢)

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد، الإمام المقتن البارع الأديب البليغ زكي الدين أبو محمد، المعروف بابن أبي الإصبع العدواني المصري، الشاعر المشهور، صاحب التصانيف في الأدب وغيره. وله الشعر الرائق الفائق إلى الغاية

(27) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ٥٦.

(28) الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الأمديّ النحوي الكاتب. سمع من إبراهيم بن عرفة نفطويه النحوي وغيره وأخذ العلم عن الأخفش والزجاج وابن دريد وغيرهم، وولي القضاء بالبصرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة.

الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص ١٢٣)

(29) الصبح المنبي عن حيثية المتنبى ١ / ١١٤

وقوله:

وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عمٌ وأسهدهم فهدٌ وأشجعهم قردٌ (٣٠)

وقوله :

فهذا لأَيّام الطّراد وهذه للهوي وهذي يُسرّت

لارتحاليا

قال السيوطي : " وهذا شبيهه بقول رجل سافر عن امرأته، فاشترى جارية وفرساً، وأقام بالبلد الذي سافر إليه، فكتبت إليه امرأته تستبطنه، فكتب إليها:

فهذا لأَيّام الطّراد وهذه حاجة نفسي حين ينصرف الجند (٣١) وممن فطن إلى هذه الظاهرة كذلك قدامة بن جعفر (٣٢) في كتابه (نقد الشعر)، وقد أسماها صحة المقابلات، ومثل لها بقول الشاعر :

وإذا حديثٌ ساعني لم أكتبُ وإذا حديثٌ سرني لم أشر (٣٣)

ومنه قول صالح بن جناح اللخمي:

ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجماً

ولي فرسٌ للجهل بالجهل مسرجٌ

(30) يتيمة الدهر ١ / ٦٠

(31) الأشباه والنظائر ١ / ١٧

(32) قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب أبو الفرج: كان نصرانياً فاسلم على يد المكتفي، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة وممن يشار إليه في علم المنطق.

وكان أبوه جعفر ممن لا ينكر فيه ولا علم عنده. قال ابن الجوزي: قد سأل قدامة ثعلباً عن أشياء، ومات سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع. له كتب، منها " الخراج - ط " قسم منه، و " نقد الشعر - ط " و " جواهر الالفاظ - ط " و " السياسة " و " البلدان " و " زهر الربيع " في الاخبار والتاريخ، و " نزهة القلوب " و " الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام " الوافي بالوفيات - (ج ٧ / ص ٢٢٩) و الأعلام للزركلي - (ج ٥ / ص

(١٩١)

(33) نقد الشعر ١ / ٢٣

فمن رام تقويمي فإني مقوم

ومن رام تعويجي فإني معوج^(٣٤)

حيث لجأ الشاعر هنا إلى التضاد حتى يستعين به في بناء المركبات بناءً متوازياً؛ فهو لم يجعل التضاد بين لفظتين، وإنما بين جملتين، وهو بذلك يقطع الطريق على كل من يحاول أن يثنيه عن موقفه أو يحاول أن يلفق له شيئاً هو بريء منه، وقد كان لتساوي المقاطع بين الصدر والعجز دوراً بارزاً في إحداث الإيقاع الداخلي للبيت.

هذا، وقد سمي ابن قدامة هذه المقابلات في موضع التكافؤ، وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه، أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان، فيأتي بمعنىين متكافئين، والذي أريد بقولي: متكافئين، في هذا الموضع: متقابلان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل، مثل قول طرفة:

بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا ذليل بأجماع الرجال مهدي
ومنه قول امرئ القيس:

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد^(٣٥)

وممن تناول هذه الظاهرة الأمير أسامة بن منقذ^(٣٦)، في كتابه [البدیع في نقد الشعر]، تحت مفهوم (التقسيم، والتجزئة)، وعني بالتقسيم هنالك: أن يقسم المعنى بأقسام تستكملها، فلا تنقص عنه، ولا

⁽³⁴⁾ نقد الشعر ١ / ٢٥

⁽³⁵⁾ نقد الشعر ٢٨

⁽³⁶⁾ أسامة بن منقذ الكناني، أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (قرب

حماه) ومن العلماء الشجعان، له تصانيف في الادب والتاريخ.

ومن أمتع كتبه " الاعتبار " نحا فيه منحى السيرة الذاتية. وديوان شعر في جزئين، و ازهار الانهار، والتجاير المربحة والمساعي المنجحة، الشيب والشباب، توفي سنة ٥٨٤ هـ بدمشق.

سير أعلام النبلاء - (ج ١٥ / ص ٢٠٤) ومعجم الادباء " ٥ / ١٨٨ -

٢٤٥، و " وفيات الاعيان ": ١ / ١٩٥ - ١٩٩، ومعجم المؤلفين - (ج ٢

/ ص ٢٢٥)

تزيد عليه، كقول بعضهم وهو يسأل: " رحم الله رجلاً أعطى من سعة، أو
وإسى من كفاف، أو أثر من قلة" ، قال : " ومماً أنشده سيبويه من هذا
الباب:

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق أيمنُ الله ما ندرى (٣٧)
ومنه للبحثري:

فالخيلُ تصهّلُ والفوارسُ تدعي والبيضُ تلمعُ والأسنةُ تزهر
وعنى بالتجزئة أن يكون البيت مجزأ ثلاثة أجزاء ، كقول ابن المعتز:
لك حسنه متقلداً وبهاؤه متنكبا ومضأوه مسلولا
أو أربعة أجزاء ، كقوله:

فلا كبدي تهدا ولا فيك رحمة ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمَعُ (٣٨)
وممن تناول هذه الظاهرة أيضاً أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر
محمد بن علي السكاكي^{٣٩} في كتابه: (مفتاح العلوم) تحت ما يسمى بـ
(التفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق) ، قال: "
ومنه التفريق، وهو أن تقصد على شيئين من نوع فتوقع بينهما
تباينا ، كقوله:

فنوال الأمير بدرة عين ونوار الغمام قطرة ماء
ومنه التقسيم، وهو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف على
كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله:
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الودد

(٣٧) البديع في نقد الشعر ١٢

(٣٨) البديع في نقد الشعر ١٦

(٣٩) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي سراج الدين
الخوارزمي ولد ليلة الثلاثاء جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسائة
وبرع في عدة علوم ما بين نحو وتصريف ومعاني وبيان وعروض وشعر
وصنف كتاب المفتاح ومات سنة ست وعشرين وستمائة.
تاج التراجم في طبقات الحنفية - (ج ١ / ص ٢٧)

ومنه الجمع مع التفريق، وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي الإدخال كقوله:

قد اسود كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا (٤٠)

ومنه الجمع مع التقسيم، وهو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم ثم تجمع مثال الأول قول المتنبي:

الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبِع

اللسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

ومثال الثاني قول حسان رضي الله عنه:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم، كما إذا قلت:

فكالنار ضوءاً وكالنار حراً محيا حبيبي وحرقةً بالي (٤١)

هذا ، وقد أطلقَ على تلك الظاهرة مصطلحاً: (التشطير، والمقابلة)،

والمقابلة والتشطير : هو أن يقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع

الثاني، كقول البحري:

وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماله (٤٢)

والملاحظ أن السكاكي ، قد جعل من (المقابلة) قوله تعالى: {فأما

من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل

واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى} (٤٣) ، وعرفها تعريفاً

قريباً مما نحن بازائه، إذ يقول: "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر

وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده (٤٤).

هذا ، وقد ذهب السكاكي إلى أن المقابلة هي أن تجمع بين شيئين

متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده،

كقوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى،

(40) مفتاح العلوم ١٨٥

(41) مفتاح العلوم ١ / ١٨٥

(42) البديع في نقد الشعر ١٢٨

(43) سورة الليل ٥-١٠

(44) مفتاح العلوم ٤٢٣

وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيصره للعسرى { ؛ لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والالتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهي المنع، والاستغناء والتكذيب" (٤٥).
ومما يمكن أن يعد عنصرًا من عناصر هذه الظاهرة ما ورد عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحت ما يسمى بـ (التشطير) ، وقد عرفه بقوله: هو "أن يتوازن المصراعان أو الجزءان، وتتعاقد أقسامهما، مع قيام كل واحد منهما بنفسه، واستغنائه عن صاحبه، قال : "فمثاله من المنظوم قول البحري:

شوقي إليك تفيض منه الأدمعُ وجدي إليك تضيق عنه الأضلعُ
وقول أبي تمام:

بمصعدٍ من حسنه ومصوبٍ ومجمّع من نعته ومفرّق (٤٦)

وممن تناولها أيضا القزويني^(٤٧) ، وقد أطلق عليها مصطلح: (الموازنة)، وعرفها بأن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية (٤٨) ، ومثل لها بقوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة﴾ (٤٩)، إلا أنه قد فرّق بين مصطلحي: (الموازنة، والمماثلة) ،

⁽⁴⁵⁾ الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١١١

⁽⁴⁶⁾ كتاب الصناعتين ١ / ١٢٤

⁽⁴⁷⁾ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجلي: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل.

ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ، فقضاء القضاة بمصر (سنة ٧٢٧) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي.

من كتبه (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و (الايضاح) في شرح التلخيص، و(السور المرجاني من شعر الارجاني).

وكان حلو العبارة، أديبا بالعربية والتركية والفارسية، سمحا، كثير الفضائل.

الأعلام للزركلي - (ج ٦ / ص ١٩٢)

^(٤٨) الإيضاح في علوم البلاغة ٥٢٢

⁽⁴⁹⁾ سورة الغاشية ١٥-١٦

بقوله: "إِذَا كَانَ فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَوْ أَكْثَرَ مَا فِيهَا مِثْلُ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْأُخْرَى فِي الْوِزْنِ خَصَّ بِاسْمِ الْمَمَاتِلَةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٥٠)، وكقول أبي تمام:
مها الوحشي إلا أن هاتا أوانس قنا الخطي إلا أن تلك ذوابل
وكقول البحتري:

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا (٥١)
ومن يطالع كتاب [الإيضاح] للقزويني يجده قد سماها في مواضع أخرى بـ (المطابقة، والمقابلة، والتقسيم) ، قال: "المطابقة ، وتسمى الطباق والتضاد أيضاً، وهي الجمع بين المتضادين أي : معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد: اسمين.....، أو فعلين، كقوله تعالى: { تَوْتَى الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزَعِ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءٍ وَتَعَزَّزَ مِنْ تَشَاءٍ وَتَذَلَّ مِنْ تَشَاءٍ } ، وقول النبي عليه السلام للأَنْصَارِ : " إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع " ، وقول أبي صخر الهذلي:
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحیی والذي أمره الأمر
أو حرفين كقوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}، وقول
مجنون ليلى:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا (٥٢)
هذا ، وقد دخل في المطابقة ما يُخَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ ، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به، مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى " فليضحكوا قليلاً وليبكيوا كثيراً " وقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه " .

(50) سورة الصافات ١١٧-١١٨

(51) الإيضاح في علوم البلاغة ٥٢٢

(52) الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١١١

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى،
وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب
بالحسنى، فسنيسره للعسرى} ، ومنه قول أبي الطيب - أيضا - :
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثي وبياض الصبح يغري بي(٥٣)
د - التوازي في النثر العربي:

وإذا كنا قد وقفنا على هذه الظاهرة في القرآن الكريم والحديث
النبوي الشريف والمنظوم من كلام العرب ، فلا نعدم وجودها في المنثور من
كلام العرب، ومن ذلك قولُ بعضهم: "من عتب على الزمان طالت معتبته،
ومن رضي عن الزمان طابت معيشته". وقول الآخر: "الجود خير من البخل،
والمنع خير من المطل" فالجزآن من هذه الفصول متوازنا الألفاظ والأبنية
(٥٤).

"ولا يحسن منثور الكلام، ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد
تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان
القرآن، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى
حصل في أوساط الآيات، فضلا عمّا تزوج في الفواصل منه، كقول الله
تعالى: {الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور} ، و
{أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم}.

وأما ما رُوِّجَ بينه بالفواصل فهو كثير، كقوله تعالى: {إذا فرغت
فاتصب، وإلى ربك فارغب}..... وهذا من المطابقة التي لا تجد في كلام
الخلق مثلها حسناً ، ولا شدة اختصار، على كثرة المطابقة في الكلام. وكذلك
جميع ما في القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج، مخالف في تمكين
المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمنّ الطلاوة، لما يجرى مجراه من كلام الخلق،
ألا ترى قوله عز اسمه: {والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات
صبحاً فأثرن به نقعاً. فوسطن به جمعاً} ، وهذا مثل قول امرئ القيس:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا

(٥٣) الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١١١

(٥٤) كتاب الصناعتين ١ / ١٢٤

ومن النثر قول الحريري: " فَمُدَّ اِزْوَرَ المَحْبُوبُ الأَصْفَرُ ، وَاغْبَرَّ العَيْشُ الأَخْضَرَ ، اسودَّ يَوْمِي الأَبْيَضُ ، وَابْيَضَ فُودِي الأَسْوَدُ " (٥٥).
ومن النثر - أيضاً - ما نقله الأَبَشِيهِي فِي بَابِ الآدَابِ وَالحِكْمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِ الحِكَمَاءِ: " إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَلْهَمَهُ الطَّاعَةَ ، وَأَلْزَمَهُ القَنَاعَةَ ، وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ ، وَعَضَّدَهُ بِالْيَقِينِ ، فَاكْتَفَى بِالكِفَافِ ، وَاكْتَسَى بِالعِفَافِ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا حَبَّبَ إِلَيْهِ المَالَ ، وَبَسَطَ مِنْهُ الأَمَالَ ، وَشَغَلَهُ بِدُنْيَاهِ وَوَكَّلَهُ إِلَى هَوَاهِ ، فَركب الفساد وظلم العباد. الثِّقَّةُ بِاللَّهِ أَزْكَى أَمَلٍ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ أَوْفَى عَمَلٍ. مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ دِينِهِ وَاعِظٌ لَمْ تَنْفَعَهُ المَوَاعِظُ. مَنْ سَرَّهُ الفَسَادُ سَاءَ المَعَادُ " (٥٦).

هذا ، وَقَدْ يَتَوَازَنُ الجِزْآنُ وَيَتَعَادِلَانِ ، بِحَيْثُ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الأَخرِ ، كَقَوْلِ أعرابي: سَنَّةٌ جَرَّدَتْ ، وَحَالٌ جَهَّدَتْ ، وَأَيْدٍ جَمَّدَتْ ، فَرحمَ اللهُ مَنْ رَحِمَ ، فَأَقْرَضَ مَنْ لَا يَظْلَمُ (٥٧).

وَعِنْدَ القِيَامِ بِتَأْصِيلِ مَفْهُومِ التَّوَازِي فِي النِّقْدِ البِلاغِي عِنْدَ العَرَبِ ، نَصَادِفُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المِصْطَلِحَاتِ البِلاغِيَّةِ الَّتِي تَمْتَلِكُ فِي النِّصِّ وَظِيفَةٍ إِمَّا إِعْجَازِيَّةٌ أَوْ شِعْرِيَّةٌ. وَفِي هَذَا الإِطَارِ يَمْكَنُ أَنْ نَسْتَأْنِسَ بِمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ [نِهَايَةُ الأَرَبِ فِي فَنُونِ الأَدَبِ] حَيْثُ جَاءَ: وَالسَّجْعُ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٌ وَهِيَ: التَّرْصِيعُ ، وَالمِطْوَازِي ، وَالمِطْرَفُ ، وَالمِتْوَازِنُ.

أَمَّا التَّرْصِيعُ - فَهُوَ أَنْ تَكُونَ الأَلْفَاظُ مَسْتَوِيَّةً الأَوْزَانَ مِتَّفَقَةً الأَعْجَازُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ثُمَّ إِن عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ}...، وَقَدْ يَجِيءُ مَعَ التَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ: إِذَا قَلَّتِ الأَنْصَارُ ، كَانَتِ الأَبْصَارُ ، وَمَا وَرَاءَ الخَلْقِ الدَّمِيمُ ، إِلا الخَلْقُ الذَّمِيمُ.

وَالمِطْوَازِي - فَهُوَ أَنْ يَرَاعِيَ فِي الكَلِمَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ مِنَ القَرِينَتَيْنِ الوِزْنَ مَعَ اتِّفَاقِ الحُرُوفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فِيهَا سِرٌّ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} .

(55) الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١١١

(56) المستطرف ١ / ص ٢٤

(57) كتاب الصناعتين ١ / ٨١

والمطرف - فهو أن يراعي الحرف الأخير في كلمتي قرينتيه من غير مراعاة الوزن، كقوله تعالى: "لما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً" .

والمتوازن - فهو أن يراعي في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما، كقوله تعالى: ونومارق مصفوفة وزرابي مبثوثة...، فإن راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها، وقابل الكلمة منها بما يعادلها وزناً كان أحسن، كقوله تعالى: لو آتيناها ما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم} ، وقول الحريري: اسود يرمي الأبيض، وإبيض فودي الأسود ويسمى هذا في الشعر الموازنة، كقول البحري:

فقف مسعداً فيهن إن كنت عاذراً وسر مبعداً عنهن إن كنت عاذلاً (٥٨)

" والأهم في هذا النص هو مصطلح المتوازي الذي يجمع بين المطرف والمتوازن، واشتقاق مصطلح المتوازي ينم عن الوعي النقدي بالبعد الهندسي القائم بين الأطراف المتوازية، وهو نفس البعد الذي أدى إلى نحت مصطلح التوازي في النقد الغربي، لأن أصل مفهوم التوازي هو: "المجال الهندسي، ولكنه نقل مثلما تنقل كثير من المفاهيم الرياضية والعلمية إلى ميادين أخرى، ومنها الميدان الأدبي والشعري على الخصوص" (٥٩).

من خلال ما سبق يمكن القول بأن ظاهرة المركبات المتوازية قد فطن لها قدمائنا من النقاد والبلاغيين واللغويين والنحاة، على الرغم من اصطلاحاتهم المختلفة، وما عرضه من أمثلة من القرآن العظيم والحديث النبوي الشريف والمنظوم من كلام العرب والمنثور كذلك، يُلحظ فيه ما يسمّى بالمركبات المتوازية.

كما لا يُنكرُ منصفٌ أنهم كانوا على وعي تام بأن مثل هذه التعابير لا تسيّر حسب المؤلف من سبيل التعبير والخطاب في اللغة العربية، وإنما هي تعابير غير تقليدية، ولا يُنكرُ - أيضاً - أنّ للقدماء فضلَ السبق إلى

(58) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢ / ٢٩٩

(59) التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية ٩٦

رصد هذه الظاهرة ، إلا أن هذا التنبيه والاهتمام إلى مثل هذه الظواهر لم يتعدّ حدود الشاهد الواحد، أو البيت الواحد، وهو ما يمكن أن يوصف بأنه بعيد عن الدراسة النصية (٦٠).

المسألة الرابعة : التوازي عند المحدثين:

أول من اقترح التوازي وسيلةً للتحليل في الخطاب هو الراهب لوث (ت ٧٥٣ م) الذي حلل الآيات التوراتية في ضوء ثلاثة مظاهر من التوازي هي:

– التوازي الترادفي.

– و التوازي الطباقى.

– والتوازي الجُملي .

ومنطلق لوث في تحديد التوازي، هو أنه عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من نفس السلسلة اللغوية. وقد فسر بليير ، أحد معاصري لوث ذلك، بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إما على أساس المشابهة أو على أساس التضاد.

وإذا كان لوث قد تنبه إلى وجود هذه الظاهرة في التوراة فإن علماء اللغة المحدثين، قد تنبهوا إلى وجودها في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمنظوم، والمنثور من كلام العرب ، وقد وُدت عندهم نوعاً من الدراسات الحديثة تعرف بـ (علم اللغة النصي) الذي يقوم على فكرة أن النص يعد الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي (٦١)، وبناء على ذلك فإن مهمته الأساسية تنحصر في: "وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة (٦٢) ، بمعنى أن " ما يقع في النص من انحرافات أو انزياحات على المستوى الأدبي، يقع أيضاً على

(٦٠) الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي ٣٤

(٦١) علم اللغة والدراسات الأدبية ١٨٤

(٦٢) بلاغة الخطاب وعلم النص ٢٤٧

المستوى النحوي ، وهذا لا يتم جزافاً ، وإنما تحكمه قواعد عامة، وأطر نظرية يكشف عنها النص(٦٣).

هذا ، وقد اختلفت تعريفات علماء اللغة المحدثين لمفهوم التوازي، فقد نص جاكبسون على أن التوازي: هو "عنصر قد يحتل المنزلة الأولى بالنسبة للفن اللفظي"(٦٤) ، وذهب لوتمان إلى أنه "مركب ثنائي التكوين، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر -بدوره- يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه"(٦٥)، ويعرفه كلٌّ من مولينو و تامين بأنه " متواليتان متعاقبتان أو أكثر لنفس النظام الصرفي-النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية-دلالية".

وإذا كان القصد في هذا البحث دراسة ظاهرة المركبات المتوازِيّة في ديوان ابن سناء الملك - من حيث إنها تحقق للنص ترابطاً شكلياً أو ظاهرياً - فإنه يمكن القول بأنها وردت في أشعار الطبقات الأربع (الجاهليين، والمخضرمين، والإسلاميين، والمحدثين - كما مثلنا - كما أنها وردت في الشعر الحديث بشكل كبير ، على أن كلَّ شاعر يختار نوعاً من المركبات الأكثر استعمالاً ، إلا أنه قد يضطر فينحرف عن جادة التعبيرات المألوفة ، فيخترع أساليب جديدة ، على أن يكون اختياره اختياراً دقيقاً من بين عدة إمكانات لغوية من أجل إحكام البناء وجمال التنسيق، إذ كلُّ توازٍ عنده هو تشابه قائم على تماثل بنيوي في البيت الشعري أو في الأبيات الشعرية، وعادة ما يكون ذلك التشابه بين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث المضمون والدلالة ، ومتمثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب، " ولا يعني هذا الاختيار حرية خرقاء، وإنما هو اختيار واع في إطار قد حدد بوضوح بقرارات مسبقة"(٦٦).

(٦٣) نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب ٤

(٦٤) قضايا الشعرية ١٠٣.

(٦٥) تحليل النص الشعري ١٢٩

(٦٦) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته ٩٠

وليس معنى ذلك أن الشعر نسق لقواعد اللغة العادية، بقدر ما هو توسيع وإغناء تقتضيهما اللغة الشعرية ، ويرجع ذلك إلى أمرين:
الأول : أن النحو الشعري يخضع لضرورات إيقاعية.

والثاني : أن النحو الشعري يمارس فعله في مساحة أوسع من الجملة حيث تصبح مؤشرات التعلق النحوي من أهم الأسس المساهمة في بناء وحدة النص، وفي ضوء ذلك يمكن تفسير الكثير من القضايا التي تتعلق بالتوازي النحوي.

ومما يدل على ظاهرة التوازي في أشعار المحدثين قول البارودي يصف حديقة:

فإذا نظرت ففي السماء غمامة تدقُّ الجُمان وفي الفضاء غديرٌ
وإذا أصخت فللبلايل نغمة تُشجِّي الخليَّ وللحمام هديرٌ

حيث حقق البارودي نوعاً من الإيقاع الذي ظهر من خلال التوازي الحاصل بين حرفي العطف (الفاء والواو) ، وبين الكلمات (نظرت ، وأصخت) و(السماء ، والبلايل)، و(غمامة ونغمة) ، و(تدق وتشجي) ، فضلاً عن أن عبارات الشطر الأول من البيت الأول توازي عبارات نفسها في الشطر الأول من البيت الثاني.

وقال - أيضاً - مفترخاً:

أنا المرءُ لا يثنيه عن دركِ العلا نعيمٌ ولا تغدو عليه المقامرُ
قوولٌ وأحلام الرجال عوازبٌ صوؤلٌ وأفواه المنايا فواغرُ

حيث تحقق التوازي في البيت الثاني بين الكلمات (قوول وصوؤل)، و(أحلام وأفواه) ، و(الرجال والمنايا) ، و(عوازب وفواغر) .

وبتأمل هذا التوازي نكتشف وحدات صوتية تخضع لانسجام صوتي، لتقاربها في المخرج أو الصفة وهذا ما يعرف بالتوازي الصوتي.

ومن التوازي قول أبي القاسم الشابي:

ولعللة الحق الغضوب لها صدٌ

ودمدمة الحرب الضروس لها فمٌ(٦٧)

حيث نجد في الشطر الأول: حرف+اسم+اسم+صفة+جار ومجرور+اسم،
ونجد التركيب نفسه في الشطر الثاني، وهذا ما يعرف بالتوازي التركيبي
التام.

وقوله أيضا:

في ظلام الكهوف أشباحُ شوْمٍ وبهذا الفضاء أطياف نحْس
حيث توازي الشطر الأول تركيبياً مع الشطر الثاني، إلا أن هذا الأخير يبدأ
بحرف لا يوجد في الشطر الأول، ومثل هذا النوع من التوازي يسمى
بالتوازي التركيبي الجزئي.

ويمكن القول بأنه بملاحظة المستوى التركيبي نجده يخضع لتواز
محكم ودقيق، ويكون بالتطابق بين عناصر ومتواليات الطرفين المتوازيين
في البنية النحوية، مع اختلاف في بنيتهما التركيبية، بالزيادة أو بالحذف أو
بالاستبدال.

ومن التوازي — أيضا — قول عبد الرحمن شكري:

يا ريح أي زئير فيك يفزعني كما يروع زئير الفاتك الضاري
يا ريح أي أنين حنّ سامعه فهل بليتٍ يفقد الصّحب والجار
يا ريح مالك بين الخلق موحشةً مثلُ الغريب غريب الأهل و الدار

فالأبيات الثلاثة تنهض على عبارة واحدة هي قوله: "يا ريح"، التي تشترك
في المعنى الدلالي، ومثل هذا النوع من التوازي يسمى بالتوازي الدلالي
الذي يتمثل في تطابق البنية النحوية والصرفية التي تؤدي المعنى الدلالي
نفسه، مما يوحي بالتقابل والتجاور بين الكلمات من معان ودلالات.

ومن التوازي الدلالي — أيضا — قول جبران خليل جبران في

قصيدة "المواكب":

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا

والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا(٦٨)

حيث استعمل الشاعر طرفين متعادلين متتاليين على مستوى البنية التركيبية، ولكنهما متقابلان تقابلاً ضدياً، هما : (الخير والشر) و(مصنوع و لا يفنى، ومثل هذا النوع من التوازي يسمى التوازي بالتضاد. هذا ، وقد فطن بعضهم إلى التوازي الدلالي بالترادف ، وذلك بأن يكون التشابه بألفاظ مختلفة شكلاً ومتفقة معنى بين عنصرين متتاليين ؛ لإثبات المعنى الدلالي نفسه، ومن هذا النوع قول أبي الطيب في مدح سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شك لواقف	كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة	ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي	إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضمت جناحيهم على القلب ضمة	تموت الخوافي تحتها والقوادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها	وحتى كأن السيف للرمح شاتم
نثرتهم فوق الأحيدب كلهم	كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى	وقد كثرت حول الوكور المطاعم

حيث قام التوازي في البيتين الأولين على استخدام الألفاظ المترادفة كقوله: (الموت ، والردى) و(كلمى ، وهزيمة) و(وضاح ، وباسم) (٦٩)، و" هو ما يسمى بإيراد الملامم" (٧٠) ، أي الإتيان بالشيء ، فالملاءمة الدلالية القائمة بين المترادفات السابق ذكرها قد أفرزت توازياً دلاليّاً بين حالتين متقابلتين هما : حالة المنهزم وحالة المنتصر (٧١).

وعليه يمكن القول بأنّ هذه البنيات المترادفة تخلق لونها من التوازي على المستوى الصرفي والنحوي، وذلك لوقوع صيغ متماثلة صرفياً بأدائها للوظائف النحوية نفسها في مواقع عروضية متماثلة (٧٢).

(٦٩) التوازي وخاصة التكرار في مقاطع من شعر دخيل الخليفة - لآدم يوسف -

<http://www.alhafh.com/index.php> :

(٧٠) العرف الطيب ٢٠٦

(٧١) التوازي ولغة الشعر لمحمد كنوني :

http://membres.lycos.fr/abedjabri/n_kannuni.htm ٠٧_١٨

(٧٢) مديح الظل العالي ٥٢

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن الضمير يعدُّ من أهم المؤشرات النحوية التي تسهم في وحدة النص، وخير دليل على ذلك قول أبي الطيب: وقفت وما في الموت شك لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائم تمر بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجهك وضاح وثرغك باسم حيث ظهرت الوحدة النصية من خلال التوازي الرأسي، المتمثل في المحور الثابت، الذي هو ضمير المخاطب المقترن بسلسلة من الأفعال هي: (وقفت - تجاوزت - ضمنت - حقرت - نثرتهم) و(تدوس بك - تمر بك)(٧٣).

ويمكن القول بأنَّ من يطالع أسلوب الدكتور طه حسين في كتابه الأيام يجده يفضل استعمال المركبات المتوازِيَّة (٧٤)، ومن ذلك ما ورد في تضاعيف كتابه: "... كلهم حريص على أن يستوفي حظه من هذا الطعام، وكلهم يراقب اصحابه أن يسبقوه، أو يشتطوا عليه، وكلهم يستحي أن يظهر هذا الحرص، أو يبدي هذه المراقبة، ولكن الشيخ معهم، فصراحتة تغني عن صراحتهم، وهزله يفضح ما أسروا من الجد، فهو يراقبهم جميعاً، وهو يقسم الطعام بينهم بالعدل، وهو يصد أحدهم إن همَّ بجور على أصحابه، لا يخفي ذلك، ولا يتحفظ فيه، وإنما يعلنه صانحاً كعادته، منبهاً هذا إلى أنه يخدع نفسه عن قطعة البطاطس بقطعة اللحم، ومنبهاً ذاك إلى أنه يسرف على نفسه"(٧٥).

حيث يلاحظ في هذا النص وحدة المركبات، وقوة البناء اللفظي، ممَّا يعطي مجالاً للسرد، وتعانقاً للأفكار والمعاني في يسر، كما يقول الدكتور البدر اوي زهران - رحمه الله - ومن البيّن أن هذه الألفاظ تتدفق بسيولة، وعدم تكلف، بل بمرونة، وجريان تعبيرى واضح.

ويمكن التوصل من خلال ما سبق إلى أن التوازي عند المحدثين هو التشابه القائم على تماثل بنيوي في بيت شعري أو أبيات شعرية، وعادة ما يكون التشابه بين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث

(73) التوازي ولغة الشعر لمحمد كنوني (السابق) والتوازي ٥

(74) الجمل المتوازِيَّة عند طه حسين ٢٣١

(75) أسلوب طه حسين في كتابه الأيام في ضوء الدرس اللغوي الحديث ٤٢

المضمون والدلالة ، ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب، على أنه يشترط في التوازي عنصر التوالي دون وجود فاصل بين الجمل المتوازية، وهو ثلاثة أنواع :

الأول : التوازي الصوتي:

ولمّا كان التوازي الشعري هو التشابه القائم على التماثل البنيوي في بيت شعري أو أبيات شعرية ، وعادة ما يكون التشابه بين المتوازيين باعتبارهما طرفين متعادلين في الأهمية من حيث المضمون والدلالة ، ومتماثلين من حيث الشكل في التسلسل والترتيب، فإنّ ذلك التوازي يكتشف وحدات صوتية تخضع لانسجام صوتي، لتقاربها في المخرج أو الصفة، على أنّ عنصر الانسجام الصوتي يسهم في إغناء الطاقة التخيلية للشعر.

والثاني : التوازي التركيبي:

وهو ذلك التوازي الذي يكون على مستوى الحروف والكلمات والعبارات، وبملاحظة المستوى التركيبي نجده يخضع لتواز محكم دقيق ، وهذا ما يعرف بالتوازي التركيبي التام.

أو يكون ذلك التوازي في الشطر الأول مع الشطر الثاني ، إلا أنّ الشطر الأول أو الثاني يبدأ بحرف لا يوجد في الآخر ، وهذا ما يعرف بالتوازي التركيبي الجزئي.

أي أنّ التوازي التركيبي نوعان:

الأول : التوازي التركيبي التام، ويكون عندما تتساوى عناصر البيت في بنيتها التركيبية/ مع اتفاقها في الوظائف النحوية والصرفية التي تؤديها.

والثاني : التوازي التركيبي الجزئي، ويكون بالتطابق بين عناصر ومتواليات الطرفين المتوازيين في البنية النحوية، مع اختلاف في بنيتها التركيبية ، بالزيادة أو بالحذف أو بالاستبدال. أمّا التوازي الدلالي فيتحقق بأمرين هما الترادف والتضاد.

التوازي الشعري:

يميز التّوازي الأعمال الشعرية عن غيرها ، ذلك لأنه يهيمن عليها، ويستمر من مطلع القصيدة إلى نهايتها؛ لذلك يقال: إنّ بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر، و" قد يكون التوازي في بيت شعري ، أو في مجموعة

شعرية" (٧٦)، ويمكن له أن يستوعب الصور الشعرية بما فيها من تشبيهات، واستعارات، ورموز، ويمكن أن يتخطى حدود البيت أو المقطوعة لكي يستوعب القصيدة بأكملها حيث توازي مجموعة من الأبيات (أو مقطوعة) مجموعة أخرى ضمن القصيدة نفسها (٧٧).

ويمكن القول بأنّ التوازي ليس خاصاً باللغة الشعرية فحسب، بل هناك أنماط من النثر الأدبي خاضعة لمبدأ التوازي، كالمقامات التي تشكل عملاً أدبياً نثرياً يقترب من حدود الشعر إلى حدّ ما، وذلك من خلال التوازي القائم على المشابهة أو المجاورة، وعلى كل حال "فالتوازي في الخطاب الشعري أو الخطاب النثري غايته الأولى هي الإقناع مع الإمتاع" (٧٨).

ومن تطبيقات التوازي على الشعر المنظوم، تلك التطبيقات التي قام بها جاكوبسون، وقد تبين له أنّ التوازي عنصر شعري في المقام الأول، حيث تشكل القافية حالة خاصة ومكثفة، ومرجعية جاكوبسون في بلورة هذا المفهوم تعود إلى هوبكنس الذي يرى أن بنية الشعر تتميز بتواز مستمر (٧٩)، وذلك في أنماط "التوازيات النحوية، والتوازيات الاصطلاحية، والتوازيات الصوتية، والعروضية، والتوازيات الدلالية" (٨٠).

كما لا يُنكر أنّ التوازي وسيلة من وسائل التحليل اللغوي والصوتي؛ فهو يكشف لنا عن النواحي الدلالية، واللغوية، والأسلوبية داخل النص، إذ يقوم على التنسيق الصوتي عن طريق توزيع الألفاظ في العبارة، أو التركيب، أو القصيدة الشعرية "توزيعاً قائماً على الإيقاع سواء لفظ أو الصوت المنسجم" (٨١).

والتوازي الشعري له مستويان :

(٧٦) التشابه والاختلاف ٩٧، نقلاً عن التوازي ولغة الشعر - لمحمد كنوني.

(٧٧) الشعريات والشعرية ٨

(٧٨) الشعرية ٨٣

(٧٩) قضايا الشعرية ١٠٣

(٨٠) تحليل النص الشعري ١٢٩

(٨١) علم الجمال الصوتي نقلاً عن البديع والتوازي ١١٩ : ١٢٠

الأول : داخلي.

والثاني : شكلي (٨٢).

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان التوحيدي عندما عرف الشعر بأنه : " كلام رُكِّبَ من حروف ساكنة ومتحركة بقوافٍ متوازية، ومعاني معتادة، ومقاطع موزونة، وفنون معروفة(٨٣).

أدوات التوازي الشعري:

والأدوات التي تُوجدُ التوازي الشعري هي الأشكال النحوية، والترادفات اللفظية، والأصوات، والأبنية التطريزية، " وهذا النَّسق يكسب الأبيات المترابطة بواسطة التَّوازي انسجاماً واضحاً، وتنوعاً كبيراً في الآن نفسه"(٨٤).

ولا شك أنَّ تلك الأدوات تخضع لأصول وضوابط، ولا يكون استعمالها اعتباطياً، يقول الدكتور مصطفى ناصف : " إن الشعر لغة، ولا بد لهذه اللغة المعبرة الأنيقة من نظام وقوانين، تشكل أبنية متوازية، وتجعله خطاباً مميزاً عن النثر"(٨٥).

التوازي ونحو النص :

ويمكن القول بأنَّ النَّصَّ هو وحدة لغوية مكونة من أكثر من جملة، تعبر عن ظواهر الانسجام، والترابط بين الجمل المنجزة في إطار مقام مُعَيَّن، أو قضية معينة، أي أنه يتكون من مكونات أصغر من الجملة، و مكونات جُمليَّة، ومجموعة جمل، ومجموعة أقوال يستعملها المتكلم، وفي ضوء ما سبق لو قال قائل إنَّ الجملة وحدة نظرية نظامية، إطارها اللُّغة، وتنطلق من قدرة لغوية، وإنَّ النَّصَّ وحدة إجرائية استعمالية، إطارها الكلام، وتنطلق من إنجاز لغوي أو قدرة تواصلية لجاز هذا القول.

(82) قضايا الشعرية ١٠٦

(83) في تشكيل الخطاب النقدي ٩٤

(84) علم الجمال الصوتي ٩٩

(85) اللغة والتفسير والتواصل ٩٩

ويعتبرُ (نحوُ النَّصِّ) ظاهرة (المركبات المتوازِيّة) وسيلةً من وسائل الرِّبْط النَّحْوِي الظاهري، داخل النَّصِّ ، ويلزم لكون النَّصِّ نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير إذا تخلف واحد منها تنتزع من النَّصِّ صفة النصية (٨٦) وهذه المعايير هي:

١- التماسك، أو (السبك) ، أو الصياغة اللغوية المتكاملة ، المستقلة، وهذا المعيار من الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، تبعاً للمباني النحوية، و يتحقق ذلك بتوفير مجموعة من وسائل السبك التي تجعل النص محتفظاً بكيئونه واستمراريته و من بين هذه الوسائل:

- التكرار الخالص.

- التكرار الجزئي.

- شبه التكرار.

- توازي المركبات .

- الإسقاط والاستبدال.

- علاقات الزمن.

- أدوات الربط بأنواعها المختلفة (٨٧) .

- الإحالة و الحذف (٨٨).

٢- الحبك أو (التناسق) أو التَّرابُط والانساق، وأعني به الصَّحَّة النَّحْوِيَّة لكلِّ جملة من جمل النَّصِّ، ويشتمل على العناصر المنطقية: كالسببية، والعموم، والخصوص.

٣- القصد: وهو يتضمن موقف منتج النص، لإنتاج نص متماسك ومتناسق، باعتبار منتج النص فاعلاً في اللغة مؤثراً في تشكيلها وتركيبها.

⁸⁶ (نحو أجرومية للنص الشعري ١٥٣ - ١٥٤ ودور نحو الجملة في تفسير

النص منهج وتطبيق ٢٣١

⁸⁷(علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ٣٣-٣٤

⁸⁸) النص و الخطاب و الإجراء ص ١٢ و مدخل إلى علم اللغة النصي ٩٤ و

ما بعدها

٤- القبول: ونقصد به موقف متلقي النص حول توقع نص متماسك و متناسق.

٥- الإعلام: وهو العامل المؤثر ، حيث إن كل نص يحمل مجموعة من المعلومات بأي شكل من الأشكال، فهو يوصل على الأقل معلومات محددة، غير أن مقدار الإعلامية هو الذي يوجه اهتمام السامع. إذ يمكن أن تقود الإعلامية إلى رفض النص، إذا كان هذا الأخير يحمل حدا منخفضا من المعلومات.

٦- الموقف أو (المقام): وهو يتضمن العوامل التي تجعل نصا ما مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، إذا أن معنى النص و استخدامه يتحدد أصلا من خلال الموقف.

٧- التناص: و هو يتضمن العلاقات بين نص ما و نصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة (٨٩).

و يمكن تصنيف هذه المعايير إلى :

أ - ما يتصل بالنص ذاته ، و هما معيارا السبك و الحبك.

ب - ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا، وذلك يتمثل في معياري القصد و القبول.

ج - ما يتصل بالسياق المادي و الثقافي المحيط بالنص، و تعني به معايير: الإعلام، و الموقف، و التناص (٩٠).

ولا شك أن إعمال تلك المعايير السبعة في تحديد مابه يكون نصا إنما يعدل من التقابل بين مفهومي الجملة و النص، إذ لم يعد التمييز بينهما منحصر في الكم أو البنية النحوية و إنما في توافر هذه المعايير السبعة. ولا ننسى أخيراً أن الباحثين اختلفوا في المصطلحات واستعمال المفاهيم ؛ فمنهم من اعتمد مفهوم النص ، و منهم من اعتمد مفاهيم أخرى كالخطاب والقول والملفوظ.

(٨٩) علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ٣٣-٣٤

(٩٠) نحو أجرومية للنص الشعري ١٥٤

وعلى ما تقدم يمكن القول بأن نحو النص ميدان لغويّ جديد يتجاوز الجملة ، وما وُضِعَ لها من قواعد، ويعالج الظواهر اللغوية في إطار النص بوصفه وحدة كبرى، ويهتم بدراسة علاقات الربط بين الجمل المتعددة ، فضلا عن اهتمامه بدراسة الظواهر التركيبية النصية ، التي يمكن أن تتمثل فيما يأتي :

- التماسك النحوي النصي، أو التعليق.
- أبنية التطابق.
- أبنية التقابل.
- المركبات المحورية.
- المركبات المختصرة .
- حالات الحذف.
- الجمل المفسرة.
- التحويل إلى الضمائر.
- التنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية.
- الانسجام بين المعاني الحقيقية والمجازية.
- التسلسل المنطقي.
- السياق الذي يجري فيه النصّ ويبني في إطاره.
- الإحالة التي تحقق وظيفة الربط بين عناصر النص فيما بينها، أو بين النص والخارج.
- مسألة "القراءة" والقارئ والفهم التّأويل وعلاقة النصّ بصاحبه وبقارئه أو الحديث عن قضايا أخرى هي من صميم إنتاج النصّ كالغموض والإبهام، وعلاقة النص بالواقع (٩١).

المسألة الخامسة : المركبات المتوازِيّة في ديوان ابن سناء الملك:

لم يكن اختيار ظاهرة المركبات المتوازِيّة محلا للبحث والدراسة اختياراً اعتبارياً ، إنما هو اختيار علمي مؤسس على وجود فعلي لهذه

(٩١) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ٢٠.

الظاهرة في شعر ابن سناء الملك، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تغلغل هذه الظاهرة تغلغلاً واسعاً من أول الديوان إلى آخره، مما يدل على وكع الشاعر بهذه الظاهرة والتفنن في خلق أنماطها، ويلاحظ أنّ تكراره لهذه الأنماط ليس منعزلاً عن توظيفها توظيفاً دلاليّاً جيّداً في إطار الديوان، وقد لوحظ في الديوان عدة أنواع من التوازي:

الأول : التوازي الأفقي(٩٢) التام، وأعني به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للمركبات المتوازية، ويكون ذلك بالتطابق التام بين صدر البيت وعجزه.

والثاني : التوازي الأفقي الجزئي ، وأعني به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للمركبات المتوازية توازياً أفقياً، عدا عنصر ، أو عنصرين، ويكون ذلك بالحذف أو الزيادة، أو الاستبدال، بين شطري البيت الشعري.

والثالث : التوازي الرأسي(٩٣) التام ، وأعني به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للمركبات المتوازية على المستوى الرأسي، ويكون ذلك بالتطابق التام بين كل بيتين متتاليين، أو بين كل نُقْطةٍ أو قطعةٍ من أبيات متتالية.

والرابع : التوازي الرأسي الجزئي، وأعني به التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للمركبات المتوازية توازياً رأسياً، عدا عنصر ، أو عنصرين، ويكون ذلك بالحذف والزيادة، أو الاستبدال، بين كل بيتين، أو بين كل نُقْطةٍ أو قطعةٍ من أبيات متتالية.

أولاً : التوازي الأفقي التام :

لوحظ أن هذا النوع من التوازي التام قد يكون بين مركبات إنشائية كاملة، أو بين عبارات (فضلات الجمل) من: (جار ومجرور، أو

(⁹²) أعني بالتوازي الأفقي ذلك الذي يكون على مستوى البيت الواحد في القصيدة.

(⁹³) أعني بالتوازي الرأسي ذلك الذي يكون على مستوى القصيدة.

صفة وموصوف، أو...)، والمركبات المتوازِيَّةُ تَوازِيًا أفقيًّا تامًّا قد تكون: مركبات اسمية، ، وذلك نحو قول ابن سناء الملك يمدح القاضي الفاضل :
 وذلك رُضابٌ للرَّحِيقِ اعترأوه وذلك ثَعْرٌ للحَبَابِ انْتِسَابُهُ (٩٤)
 حيث بنى كلامه على تَوازِي المكوّنات وتناسبها، فجعل بِإِزاء (ذاك) لفظة (ذلك) و(رضاب) (بإزاء) (ثعر)، وجانس بين (اعترأوه) و(انتِسَابُهُ) ، فضلا عن أنه وازن بين التركيب في المصراعين.
 ومن ذلك قوله :

والسحر من أزهارها والدُّلُّ من أشجارها والحسن من أعشابها(٩٥)
 وقوله :

والدُّلُّ منها فعلُها لا قولُها والحسنُ منها طبعها لا كسبها(٩٦)
 وقد تكون فعلية، نحو قوله :

وأنشُرُ شُكْرًا ذِكْرُهُ ليس يُفْتَرَى وأنثر مدحا درُّهُ ليس يُنْقَبُ(٩٧)
 وقد تكون شرطية، نحو قوله :

لو رامها الدهر لم يظفر ببغيته ولو رامها بقوس الأفق لم يُصب(٩٨)
 وكلُّ من المركبات الاسمية، أو الفعلية قد يكون خبريًّا، وقد يكون إنشائيًّا، فمن المركبات الاسمية الخبرية المتوازِيَّةُ ، وقد جاءت مثبتة قوله:

وجودك أمنٌ للوجود من الردى وجودك أمنٌ للبلاد من الجذب(٩٩)
 وقوله :

فلي ثقةٌ في جوده لا تخونني ولي أملٌ في فضله لا يخيبُ(١٠٠)

(٩٤) الديوان ص ١٦

(٩٥) الديوان ص ٢٣

(٩٦) الديوان ص ٣٤

(٩٧) الديوان ص ٦

(٩٨) الديوان ص ١

(٩٩) الديوان ص ١٠

(١٠٠) الديوان ص ٦

وفي هذا البيت لم يقم ابن سناء الملك بنسج التركيبين الاسميين المتوازيين بركنيهما الأساسيين (المبتدأ + الخبر) فحسب، بل أتى بتركيبين فعليين متوازيين ، هما قوله : (لا تخونني) و(لا تخيبُ) .
وقد يأتي فضلا عن التركيبين الاسميين المتوازيين بركنيهما الأساسيين (المبتدأ + الخبر) بمكملات كضمير الفصل وحرف العطف ، ومن ذلك قوله:

فسوارها هو نوبها وخبأؤها

هو شعبها ورقبها هو كلبها (١٠١)

أو بمكملات كالجار والمجرور مع المعطوف ، نحو قوله :

فشخصك أشهى من فؤادي وناظري

ومدحك أحلى في لساني وفي قلبي (١٠٢)

حيث جاء الإيقاع واضحا من خلال التوازي التركيبي في حشو الأشر في البيتين السابقين ، وقد ظهر التناسب اللفظي واضحا جليا ، بصورة أسهمت في ظهور الإيقاع العروضي للبيتين ، وذلك من خلال قوله:
(سوارها - خبأؤها) و(شعبها - كلبها) و(شخصك - مدحك) و(أشهى - أحلى) (فؤادي - لساني).

وكذلك الحال في قوله:

فلا ملتج إلا عليه اتكأله

ولا مرتج إلا عليه مآبأله (١٠٣)

حيث وضح الإيقاع والمناسبة اللفظية في التركيبين المتوازيين من خلال قوله: (ملتج ، مرتج) .

ومنه أيضا قوله:

وما طلبني إلا قبولاً وقبلة وما أربي إلا رضاً ورضاباً (١٠٤)

(101) الديوان ص ٣٤

(102) الديوان ص ١٢

(103) الديوان ص ١٨

(104) الديوان ص ٢٠

فانظر إلى حسن التوازي والتطريب ، الذي ظهر من خلال قوله:
(وما طلبي ، وما أربي) و(قبولٌ وقبلة ، ورضا ورضاب).

وقد تكون المكملات المتوازية عطفًا ونداءً، كما في قوله:

ياساقِيَ الراح بل ياسائقَ الفرح

ويا نديميَ بل ياكلٌ مقتـرحي

لا تخشَ من قصر ليل في تواصلنا

أما تراني شربتُ الصبحَ في قدحي(١٠٥)

أونداء مع المضاف والمضاف إليه ، كما في قوله:

يا علة المهموم ياجلدة ال

محموم يا زفرة صبّ نحيل

يا قرحة المشرق وقت الضحى

يا سلحة المغرب وقت الأصيل(١٠٦)

هذا ، وقد جاء التوازي التركيبي في الأبيات السابقة بالإضافة إلى

المكملات الإيجابية أو الاختيارية موضحاً للمعنى، فضلاً عن التوازن

الموسيقي الذي يدل على حنكة الشاعر ودرسته .

أو يكون التوازي أفقياً بين المركبات الاسمية الخبرية المنفية،

المقترنة بالاستثناء، نحو قوله :

فلا منطقٌ إلا لقولي مشرقٌ

و لا مِسْمَعٌ إلا لقولي مغرب(١٠٧)

وقوله :

وما الفضل إلا ما حوته طروسه

وما المجد إلا ما حوته ثيابه(١٠٨)

(105) الديوان ص ١٥٠

(106) الديوان ص ٥٧٧

(107) الديوان ص ٨

(108) الديوان ص ١٨

وقوله:

وما الدهر إلا خادمٌ أنت ربُّه

ولا الرزق إلا منزلٌ أنت بابه (١٠٩)

وقوله:

صفا العيش في ملك العزيز بن يوسف

فلم يبق فيه للشوائب بــــــــــــاق

فلا عقرب إلا بخد مليحــــــــــــة

ولا جور غلا في ولاية ســــــــــــاق

أو بين المركبات الاسمية، الخبرية، المنفية، المجردة من الاستثناء،

ومن ذلك قوله :

وما أسفي إلا على قرب ملكه

وما حزني إلا على ملكٍ قربه (١١٠)

أو بين المركبات الاسمية الخبرية المنسوخة بـ (كان) أو إحدى

أخواتها، ومن ذلك قوله:

بميمون رأيك كان الفــــــــــــوح

ومنــــــــــــور عزمك كان الغلب (١١١)

ومنه قوله :

وما زلتَ حتَّى محوتَ الدّمــــــــــــاءَ

وما زلتَ حتى كسرتَ الصُّلب (١١٢)

وقد تكون: اسمية، خبرية، منسوخة بـ (لا) النافية للجنس، ومن

ذلك قوله وقد سألته إنسان أن ينحله أبياتا يمدح بها بعض الملوك:

لا معيني لا ناصري لا حميــــــــــــي

لا حبيبي لا أسرتي لا صحبي (١١٣)

(109) الديوان ص ١٩

(110) الديوان ص ٣٩

(111) الديوان ص ٤٥

(112) الديوان ص ٤٥

(113) الديوان ص ٢٦

هذا ، وقد يكون التوازي بين المركبات الاسمية مصحوبا باسم الإشارة، ومن ذلك قوله يمدح القاضي الفاضل ، ويهنئه بفتح عسقلان في سنة ٥٨٣هـ :

وذاك رضابٌ للرحيق اعزازه

وذلك ثغر للحباب انتسابه (١١٤)

المركبات الاسمية الطلبية المتوازية:

لوحظ أن المركبات الاسمية الطلبية قد تكون: اسمية، استفهامية، ومن ذلك قول ابن سنّاء يمدح الملك العزيز:

وما قربةٌ إن كان جسمي عندها

وما بعده إن كان قلبي عنده (١١٥)

المركبات الفعلية الخبرية المتوازية:

وقد يأتي الشاعر بالبيت من الشعر مقسماً على شطرين، كل شطر مكون من جملة فعلية ، تتفق أركانها مع الأخرى، وقد تكون: فعلية، خبرية، مثبتة، كقول الشاعر موازياً بالأفعال الماضية :

وحلّ من الأقصى على فلك

ودار من برجها الأعلى على قطب (١١٦)

وقوله :

فمرّ عنها بلا غيظ ولا حنّ

وسار عنها بلا حقد ولا غضب (١١٧)

وقوله :

وقيل له في الحرب يا مهلك العدا

وقيل له في السلم يا فاضح السُّحب (١١٨)

(114) الديوان ص ١٧

(115) الديوان ص ١١٠

(116) الديوان ص ٢

(117) الديوان ص ٢

(118) الديوان ص ١٢

أو موازيًا بالأفعال المضارعة ، كقوله :

ويشغلهم سببُ الأسود عن المهَا

ويلهيهم نهبُ النفوس عن النَّهبِ (١١٩)

فالمركبات السابقة تتكون من (فعل مبني للفاعل ، أو مبني للمفعول + فاعل، أو نائب فاعل + مركبات اختيارية (شبه جملة). وكل جملة منهما جاءت كاملة المعنى لا تحتاج إلى ما يكملها، وكل واحدة منهما تعد جملة مستقلة، ولكن مجيئها في حالة تواز جعل المعنى أكثر قوة ووضوحاً؛ ف كلا الشطرين في كل بيت اتفق في التركيب والدلالة، فظهر الإيقاع من خلال تساوي المركبات وتوازيها.

وبالنظر إلى التركيب النحوي للشطرين نلاحظ أنهما اتفقا في الجوانب التركيبية حتى إنَّ الشاعر عندما استعمل أسلوب التقديم والتأخير استعمله في الجميع ؛ مما أدى إلى وجود علاقة تضامنية بين المركبات داخل البيت الواحد، فضلاً عن بروز الجانب الإيقاعي من خلال التوازي الواقع بين عناصر المركبات الفعلية.

هذا ، وقد تكون المركبات المتوازية فعلية، منفية، ومن ذلك قول

الشاعر:

ولا تُهْنِئَتْ بالزُّورِ عنه أنَاثُهُ

ولا زلزلت للحلم منه هضابُه (١٢٠)

أو فعلية مثبتة منفية ، بمعنى أن يوازي الشاعر بين جزأين مثبتين ثم يعقبهما جزأين منفيين ، ومن ذلك قوله يمدح القاضي الأشرف بهاء الدين بن القاضي الفاضل:

وأحبُّ ليلِي وهي ليس تحبني

وتحبني لُبْنِي ولست أحبها (١٢١)

(119) الديوان ص ١٠

(120) الديوان ص ١٨

(121) الديوان ص ٣٤

ومن التوازي بالفعل الناسخ قوله :

كنت مثل الطّبيّ ذا غيـدٍ

صـرت مثل الثّور ذا غيب(١٢٢)

المركبات الفعلية الطلبية المتوازية:

ولوحظ أن المركبات الفعلية الطلبية قد تكون بفعل الأمر ، ومن ذلك

قوله يمدح القاضي الفاضل ويهنئه بعيد الفطر:

أذهب طريقك لست من أربابها

وارجع وراعك لست من أترابها(١٢٣)

أو تكون بحرف الاستفهام ، ومن ذلك قوله:

أتهجرُ شمسُ الراح وهي منيرةٌ

أيتركُ بدرُ التّم وهو وسيمٌ

أو تكون بفعل دال على الدعاء ، ومن ذلك قوله يمدح القاضي

الفاضل ويدكره بقصيدته الرائية:

فانقذنا الله بعـد الردى

وسلّمنا الله بعد العطب(١٢٤)

وقد يكون التوازي الفعلي مصحوبًا بأداة النداء وحرف العطف ،

ومن ذلك قول الشاعر:

فيا أكرم الناس يومَ الرّضا

ويا أحلم الخلق يومَ الغضب(١٢٥)

حيث ساوى الشاعر بين أجزاء التركيب في الشطرين من الوجهة

النحوية، فقد جعل كل شطر يأتي في صورة (أداة عطف + أداة نداء +

منادى مضاف + ظرف زمان + مضاف إليه)؛ ثمّ قسم الشاعر البيت إلى

أربعة مقاطع متساوية في البناء المقطعي لها، فقد ساوى بين مقطعي (فيا

(122) الديوان ص ٢٤

(123) الديوان ص ٢٤

(124) الديوان ص ٤٤

(125) الديوان ص ٤٧

أكرم الناس - ويا أحلم الخلق). وساوى بين (يوم الرضا - يوم الغضب) فأحدث نوعاً من الإيقاع الناتج من السجع بين (يا أكرم - يا أحلم). فضلاً عن أن الشاعر أتى بالتركيب الأول موازياً للتركيب الثاني ، ذلك لأنه حريص كل الحرص على أن ينقل لنا كل ما يمجّد صفات الممدوح ويعلي من قدرها.

المركبات الشرطية المتوازية:

هذا ، وقد لوحظ أن المركبات المتوازية توازياً أفقياً قد تكون: شرطية، ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

إذا هجرتني شيبتني بهجرها

وإن واصلتني شيبتني بطيها (١٢٦)

وقوله :

وإذا طلبتَ البدرَ فانظر طلعتي

وإذا أردتَ الصُّبحَ فهو جِيئني (١٢٧)

ونحن نحس في هذين البيتين وأشباههما توازياً إيقاعياً متكرراً يحدث انسجاماً صوتياً عميق الأثر في النفس، ولسنا نبعد عن الحق إذا قلنا: إن هذا الانسجام الصوتي يتواءم مع الانسجام النفسي في القصيدة، ولعله نابع منه، ويكمّله. فهنا قام التوازي على مبدأ المزوجة بين الشرط وجوابه؛ حيث جعل وقوع معنى جواب الشرط مترتباً على حدوث الشرط نفسه. فالمزوجة أو (الازدواج) تعد من المبادئ الأصيلّة للتوازي، والمزوجة بين المركبات الشرطية جعل التنغيم الإيقاعي يظهر لنا من خلال قراءة البيت، ووجود الشرط جعل القوافي الداخلية محدثة نوعاً من أنواع الجرس الموسيقي التي نبعث من التقطيعات الصوتية؛ فحدوث التوازي اللغوي زاد من كثافة الإيقاع.

(126) الديوان ص ١

(127) الديوان ص ٣

التوازي الأفقي التام بين فضلات المركبات:

وقد يكون التوازي الأفقي التام ممثلاً في المركبات الاختيارية (فضلات المركبات) ، كحروف الجر ، والمضاف والمضاف إليه، ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

وحلّ من حولها الأقصى على فـاك

ودار من برجها الأعلى على قطب (١٢٨)

وقوله :

والدهر بالقدر المحتوم يخدمه

والأرض بالخلق والأفلاك بالشهب (١٢٩)

ثانياً : التوازي الأفقي الجزئي :

وأعني بالتوازي الأفقي الجزئي أن تتطابق عناصر البناء النحوي تطابقاً تاماً في المركبات المتوازية توازياً أفقياً، مع زيادة بعض البنيات أو نقصها ما بين شطر وآخر ، وقد يكون ذلك في المركبات الاسمية أو الفعلية، أو الشرطية، أو في فضلات المركبات، فمن ذلك قول ابن سناء الملك يمدح صلاح الدين ، ويهنئه بفتح حلب :

بدولة الترك عزّت ملة العرب

وبابن أيوب ذلت شيعة الصُّلب (١٣٠)

حيث لوحظ أن الشطرين قد توازيا توازياً تاماً في العناصر الرئيسية في بناء المركبين الفعليين ، اللهم إلا زيادة يسيرة زادها الشطر الثاني على الشطر الأول ، وهي حرف العطف (الواو).

ومنه قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ويذكر نزوله على الكرك، وفتح نابلس:

(128) الديوان ص ١

(129) الديوان ص ٢٢١

(130) الديوان ص ١

تَطَّلَعُ من بدر السماءِ إلى أخ

وتنظرُ من زُهر النُجوم إلى أهل(١٣١)

أو تكون الزيادة بالجار والمجرور، أو بالاستبدال بين الصفة والموصوف، أو بالمضاف والمضاف إليه، أو بالصفة المفردة، وبالصفة الجملة، أو بين الصفة والجار والمجرور.

ومن ذلك قوله :

سأعدم صبري حين آتي مودعًا

وأغدو كموسى حين لم يستطع صيرا(١٣٢)

وقوله :

وعوضتني عن منزل بمنازل

وأبدلتني من والدٍ والدًا برا(١٣٣)

وقوله:

لصيرت قلبي من حلَى الصبر عارياً

وصيرت خدي من حلَى الدمع كاسيا(١٣٤)

ومن التوازي الاسمي الأفقي الذي تقدم فيه المسند على المسند إليه

قوله:

وله الري في القلوب الصوادي

وله العُلُّ في الرقاب العُلْب(١٣٥)

وقوله:

وفي القلب تصديقٌ وفي الوصل جبرُهُ

وفي الخدّ دينارٌ وفي الجفن كسرُهُ

ومن التوازي الاسمي الخبري الأفقي المنفي الذي نفي بلا التبرئة

قوله:

(131) الديوان ص ٢٢١

(132) الديوان ص ٥٨٤

(133) الديوان ص ٥٨٤

(134) الديوان ص ٥٩٢

(135) الديوان ص ٣٠

لا معيني لا ناصري لا حميمي

لا حبيبي لا أسرتي لا صحبي (١٣٦)

ومن التوازي الاسمي الأفقي الذي حذف فيه المبتدأ قوله:

قصدُ هذا قتلي وهذا ملاقا تي وهذا أسري وهذا نهبي (١٣٧)

ثالثاً : التوازي الرأسي التام بين المركبات:

يحقق التوازي على المستوى الرأسي لبناء القصيدة الكثير من التماسك والحبك والربط ، وقد يكون التوازي المعني هاهنا بين العناصر الإيجابية أي (الجمال الكاملة) ، أو العناصر الاختيارية ، أي (فضلات المركبات) ، وتلك المركبات المتوازية توازيًا رأسيًا تامًا، قد تكون مركبات اسمية، أو فعلية، أو شرطية، وكلُّ من المركبات الاسمية أو الفعلية قد تكون خبرية، وقد تكون إنشائية، و لوحظ أن المركبات الاسمية الخبرية قد تكون اسمية، خبرية، مثبتة، ومن ذلك قول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر تقي الدين صاحب حماه عندما عزم على فتح بلاد الغرب:

وأنت الذي لو شاء أسرى وقاره

إليها فهدي من زعازعها النُكب

وأنت الذي لو شاء سد مهبها

بجيش يصدُّ الريح عن مسلك الهب (١٣٨)

وقوله يمدح الملك الأفضل :

أنت الذي لو شئت صيًّا

رت الكواكب بعض نهبي

أنت الذي لو شئت كـ

ن الدهر من خدمي وصحبي

(136) الديوان ص ٣١

(137) الديوان ص ٣٢

(138) الديوان ص ١٠

أنت الذي لو شئت ما

فلَّ الزمان عليَّ غربي (١٣٩)

ومن التوازي الرأسي بالمكملات كحروف العطف ، والتمني قوله

يمدح القاضي الفاضل:

أوليتَ نَجْمَكَ لم تُعقلِ ركائبَهُ

أوليتَ صُبْحَكَ لم يَقْدَم من السَّـقَر

أو لیتَ لم یصفُ فیک الشَّرْقُ من عَب

سَ فذلک الصَّفْوُ عندي غایةَ الْکَدَر

أو لیتَ کُلًّا من الشَّرْقین ما ابتسما

أوليتَ کُلًّا من النَّسْرین لم یطـر

أو لیت كنتِ کما قد قال بعضُهُم

لیلَ الضَّریرِ فُصْبِحِي غیرُ مُنْتَظَر

أو لیتَ حُطَّ علی الأفْلاکِ قاطِبَةً

همِّيَ علیکِ فلم تنهض ولم تسر

أو لیتَ فجرک مفترَّ به رَشِي

أو لیتَ شمسیکِ ما غارت علی قمری

أو لیتَ قلبی وطرفی تحتَ مَلکِ یدی

فزدتُ فیکِ سوادَ القلبِ والبَصَر

أو لیتَ ألقى حبيبي سحرَ مَقْلَتِهِ

على العِشاءِ فأبقاها بلا سَحَر

أو لیتَ كان يُفدي من کلقتُ به

درُ النجومِ بما في العِقْد من دُر

أو لیتَ كنتِ سألتیه مساعِدةً

فكان يحبوک بالتَّكحیل والشَّعَر

أو لَيْتَ جُمْلَةٌ عُمري لَوْ عَدَا تَمَنَّا
في البعض منك وَمِنَ اللَّعْمِي بِالْعَوْرِ (١٤٠)
هذا ، وقد يكون التوازي الرأسي بضمير الخطاب ، ومن ذلك قوله
يمدح الملك المظفر تقي الدين ملك حماه:
وبعثك للكفار هادمة القوى
تسوق إلى الصلبان هادمة الصلب
وبسطك كفا تشهد السحب أنها
وقد صدقت أندى بنانا من السحب
وإدنائك الظمان للجود والندى
من المنهل الفيض والمورد العذب
وتقريبك المظلوم من غير حجبه
وإن كنت من نور الجلالة في حجب
وسيرك فينا سيرة عمريّة
فروحت في قلب وفرجت من كرب
وردك فينا من سميك سنّة
فأظهرك ذاك الفرض من ذلك النّذب (١٤١)

المركبات الفعلية الخبرية المتوازية رأسيًا:

كما لوحظ أن المركبات الفعلية الخبرية قد تكون: فعلية، خبرية،
مثبتة، وقد يكون التوازي الرأسي بينها بفعل معين ، يتكرر هو هو مع
الفاعل المضمر، كما في قوله :

ورأيتُ حظي منه أَع_____

رضَ جانبًا فوضعت جنبي

ورأيتُ شرّ البخت أَص_____

بح حاجبي فهتكت حجبي

(140) الديوان ص ١٥٣

(141) الديوان ص ١١

ورأيتُ دهري في الجميــــ

ل مقصرا فأطلت عتبي (١٤٢)

أو بفعل متغير ، إلا أنه يسند إلى الفاعل المضمر كما في قوله يمدح
القاضي الفاضل، ويهنئه بعيد الفطر:

فرقتُ بين بنائها وخضابها

وجمعت بين سلافها ررضابها

واعترضتُ بالخدّين عن ثفاحها

وغنيتُ بالشقتين عن أكوابها

وسمعتُ بالتقبيل صوت نعيمها

وأمنتُ بالتعنيق سوط عذابها (١٤٣)

ويلحظ هاهنا أنّ الإيقاع قد جاء مكتفياً في الأبيات الثلاثة من حيث
التوازي بين الصدور والأعجاز، والتوازي بين جمل كل بيت، كما أن الفعل
والفاعل المضمر قد جاء ست مرات في الأشرطة الستة (فرقت ، وجمعت ،
واعترضت ، وغنيت ، وسمعت ، وأمنت)، فضلاً عن اتفاق أعاريضها
وأضربها، مما أضاف نوعاً من الموسيقى الخارجية للأبيات الثلاثة.

أو يكون التوازي الفعلي شرطياً كقوله :

فإنّ قالَ إني قد سقمتُ بشربها

فقد يعشقون الجفنَ وهو سقيمٌ

وإن قالَ إني قد سلمتُ فإنه

كما قيلَ قدماً للديغِ سليــــمٌ

أو يكون التوازي الرأسي بين المركبات الفعلية الطلبية بالنداء ،

كقوله:

يا علة المهموم يا جلدة الــــ

محموم يا زفرة صبّ نحيل

(142) الديوان ص ١٤

(143) الديوان ص ٢٢

يا قرحة المشرق وقت الضحى

يا سلحة المغرب وقت الأصيل

التوازي الرأسي التام بين فضلات المركبات:

وقد يكون التوازي الرأسي التام بين فضلات المركبات بالمركب
الفعلي مع الجار والمجرور والاسم الموصول قوله من قصيدة يمدح فيها
الوزير صاحب الأجلّ صفي الدين بن يشكر ، ويهنؤه بقدومه من الشام إلى
الديار المصرية سنة ٦٠١ هـ :

أنشأت منه من يطوف به الوفاء

—د ويحدو بالمدح فيه الركب

أنشأت منه من يدور عليه الـ

ملك دَوْرَ الأفلاك وهو القطب

أنشأت منه من يُرَاعُ به الدهـ

رُ ومن يستجير من الخطب (١٤٤)

وقد يكون التوازي الرأسي بالمركب الفعلي المقترن بحرف
التسويق، ومن ذلك قوله:

وسياتي ما كنت أعهد من عيـ

شي قديما لا بل يزيد ويربو

وسيعدو لطائر القلب من جو

دك عندي عشّ وعيشّ وعشب (١٤٥)

التوازي الرأسي الجزئي بين المركبات:

هذا النوع من التوازي الرأسي تتطابق فيه عناصر البناء النحوي
تطابقا تاما، مع زيادة بعض البنيات أو نقصها ما بين بيت وآخر ، وقد يكون
ذلك في المركبات الاسمية أو الفعلية، أو الشرطية، أو في فضلات المركبات،
على نحو ما رأينا في التوازي الرأسي التام بين المركبات.

(144) الديوان ص ٤١

(145) الديوان ص ٤٢

فقد يكون ذلك التوازي الرأسي بزيادة حرف العطف ، أو الجار والمجرور، أو الاستبدال بين (حرف جر)، و(حرف عطف) ، أو الصفة المفردة، أو الصفة الجملة.

ومن التوازي الرأسي بالمسند إليه المؤخر والمسند المقدم ، فضلا عن التوازي بالنداء قوله يمدح الملك الكامل^(١٤٦):

على خاطري يا شُعْله منك أشْغالُ

وفي ناظري يا نورَه منك تَمثالُ

وفي كبدي من نار خدك شُعْلاء

وموضع ما أخليتَ منها هو الخال^(١٤٧)

هذا ، وقد يكون التوازي الأفقي بصفة المبالغة المضافة ذات وزن

واحد ، هو هو كما في قوله:

فلتفخر الدنيا بسائس ملكها

منه ودارس علمها وكتابها

صوامها قوامها علمها

عمّالها بدّالها وهابها^(١٤٨)

ومن التوازي الأفقي بالمؤكدات (الحروف الناسخة) المصاحبة

للمركبات الفعلية قوله يمدح القاضي الحافظ السلفي، وهو بئغر الإسكندرية:

ولكنني أنشرتُ فهمي من البلى

^(١٤٦) هو محمد بن محمد بن أيوب ابن شادي بن مروان السلطان الملك الكامل

ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ، ولد

بمصر سنة ست وسبعين وخمس مائة وأجاز له العلامة ابن بري وأبو عبد

الله بن صدقة الحراني وعبد الرحمن بن الخرقى وخرج له أبو القسم ابن

الصفراوي أربعين حديثاً وسمعها جماعة، تملك الديار المصرية أربعين سنة

شطرها في أيام والده وعمر دار الحديث بالقاهرة في سنة إحدى وعشرين

وست مائة ، مات في سنة خمس وثلاثين وست مائة. راجع : الوافي

بالوفيات ١ / ٨٦

^(١٤٧) الديوان ص ٢٥٣

^(١٤٨) الديوان ص ٢٥

كما أنني أيقظت حلمي من الحُلم
وأقبل نُسُكي حينَ وُلّت شبيبتني
وأضَ اجترامي حينَ عاتبه حزمي
فجئت إلى الإسكندرية قاصداً
إلى خير دينَ عنده خيرُ مرشدٍ
وخير إمامَ عنده خير مُؤتمٍّ (١٤٩)
ومن التوازي الأفقي والرأسي في آن واحد بالمسند والمسند إليه
وياء الإضافة قوله يمدح الملك الأفضل:
حَسبي عليُّ نَدَى حَسبي عليُّ هُدَى
حَسبي عليُّ جَدًا حَسبي عليُّ عَلَا
ذُكري به سارَ حالي عنده عَظمت
قدري به جَلَّ مقداري لَدِيهِ عَلَا (١٥٠)
ومن التوازي بتقديم الحروف تارة وتأخيرها تارة قوله يمدح الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ويذكر نزوله على الكرك، وفتح
نابلس:
ذُكرتُك واللاحي يعاندُ بالعذل
فكنتُ أبا ذرٍّ وكان أبا جهل
له شاهدا زور من النهي والنهي
عليك ومن عينيك لي شاهدا عدل
حبيبة هذا القلب من قبل خلقه
يحبك قلبي قبل خلقك بل قلبي (١٥١)

(149) الديوان ص ٢٧٩

(150) الديوان ص ٢٤٣

(151) الديوان ص ٢٢١

فانظر البيتين المتقدمين ما أرقهما وما أثقل هذا الثالث، وما سببه غير تقديم الحروف تارة، وتأخيرها تارة في قبلي وقلبي، وقلب وقبل (١٥٢).

وقال يمدح الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك الناصر صلاح الدين:
يا عاذلي فيه أما خدّه فند

كما تراه وأما ثغره فنقي

وما جفونك تلويها على سهري

ولا ضلوعك تطويها على حرقى (١٥٣)

ومن التوازي الأفقي بالمكملات كحروف الجر والاستثناء ولما الحينية، قوله يمدح القاضي الفاضل، ويهنته بالقدوم من السفر وبشهر رمضان:

كالليل إلا أنه لما دج

والمسك إلا أنه لما نق

في لحظها السحر الحلال قد استحي

وبخدها الورد الجنى قد انفتح

ليس العذول عليك إنساناً هذى

إن العذول عليك كلب قد نبج (١٥٤)

ثانياً: التوازي الدلالي:

يمكن القول بأن التوازي الدلالي يجب أن يلف النص بأكمله، فإذا ندت إحدى بناه عن ذلك سينفطر نظامه، لذا كان هذا النوع من التوازي هو النوع الرئيس، الذي تأتي الأنواع الأخرى لخدمته، فالتوازي - عامة - تنمية - معنوية (١٥٥).

(152) نصره الثائر على الممثل السائر ١ / ٣٩

(153) الديوان ص ٢٠٣

(154) الديوان ص ٥٦ - ٥٧

(155) تقنية التوازي في الشعر الحديث .

التوازي والتضاد:

قد تأتي صور التضاد المتوازِيَّة في صورتين:

إحدهما: التضاد بين لفظين.

الثانية: التضاد بين جملتين.

والمقصود هنا بكلمة التضاد كل كلمتين تختلفان في اللفظ، وتتناقضان في المعنى؛ كالأبيض والأسود، والحي والميت، والكاسي والعريان، " ولا نعني به اللفظة الواحدة التي تحمل معنيين متناقضين كإطلاق المولى على السيد والعبء" (١٥٦)، ومن ذلك قول ابن سناء الملك:

لصيرت قلبي من حلَى الصبر عارياً

وصيرت خدي من حلَى الدمع كاسياً (١٥٧)

حيث لجأ الشاعر هنا إلى التضاد حتى يستعين به في بناء المركبات بناءً متوازياً، ويلاحظ أنه كان مولعاً بالثنائيات المتضادة كثيراً، وبرزت تلك الثنائيات في عدة مواضع.

وقد يأتي الشاعر بلفظين هما غير متضادين في المعنى اللغوي، ولكنه يقابل بينهما في السياق الشعري من الناحية الدلالية. ومنه قوله:

فيا أسفي إذ كنت قبلي ماضياً ويا خجلي إذ صرت بعدك

بأفياً (١٥٨)

فالمقابلة بين لفظي (أسفي وخجلي) قد جاءت مكملة للتوازي التركيبي الذي بنيت عليه المركبات، حيث جعلت أكثر إيقاعاً، وأكثر كثافة، وإن كانت تلك الصفات في أصلها وقائع لغوية. ولكن قد أجاد الشاعر في استخدامها وتوظيفها كعادته، فهو بارع في استخدام اللغة وقتما يقول وأينما قال، على أن التوازي التركيبي يجيء مكملاً للصورة الإيقاعية التي برزت من خلال المقابلة.

(١٥٦) موسيقى اللغة ١١٧

(١٥٧) الديوان ص ٢٣

(١٥٨) الديوان ص ٢٣

ويمكن القول - أيضا - بأنَّ التوازي الدلالي يتحقق باشتراك الكلمات في نفس المعنى الذي يتولد في ذهن التلقي عبر ما يوحي به التقابل والتجاور بين الكلمات من معانٍ ودلالات (١٥٩).

وأما التوازي بالترادف فهو تشابه بين عنصرين متتالين لإثبات نفس المعنى الدلالي، ويكون بصيغة تعبيرية مختلفة شكلا ومتفقة مضمونا، وذلك كقوله:

أُعرض عني والغرام كما بـدا

وتصدف عني والدموع كما هيا (١٦٠)

(159) التوازي وخاصية التكرار .

(160) الديوان ص ٤٥

خاتمة البحث

بعد هذا العرض لبعض المركبات المتوازِيّة في ديوان ابن سناء الملك، يمكن القول بأنّ ظاهرة المركبات المتوازِيّة توجد في ديوان ابن سناء الملك، بشكل لافت للنظر، وبنسبة عالية في كل أنواع الجمل، اسمية كانت، أو فعلية، أو شرطية، أو خبرية، أو إنشائية، فضلا عن وجودها في فضلات الجمل، وهو ما يشير إلى قدرة ابن سناء الملك اللغوية على سبك الجملة والعبارة.

كما يمكن القول بأن هذه الظاهرة تضرب في جذور العربية منذ استخدامها أداة للتعبير والخطاب، وقد شاعت شيوعاً كبيراً في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمنظوم والمنثور من كلام العرب. وأنّ علماءنا القدامى من النقاد والأدباء والبلاغيين والنحاة واللغويين قد فطنوا إليها، علاوة على تعرضهم لها بالدرس والتمحيص، وإن اختلفت اصطلاحاتهم، ما عرضه من أمثلة قرآنية وحديثية وشعرية ونثرية؛ يدلل على أنهم قد أدركوا تماما ما يمكن أن نسميه في دراساتنا المعاصرة بالمركبات المتوازِيّة.

كما يمكن القول بأنّه إذا كانت بنية الأصوات تخلق لونا من التوازي الظاهري في الإبداع الشعري؛ فإن بنية العروض تخلق لونا من التوازي الداخلي، الذي يسهم في بناء المتواليات الهندسية اللغوية، التي تتوازي صرفيا ونحويا، وذلك لوقوع صيغ متماثلة صرفيا، بأدائها الوظائف النحوية نفسها، في مواقع عروضية متماثلة.

فضلا عن القول بأنّ توظيف ابن سناء الملك لظاهرة التوازي في إبداعه الشعري؛ يدفعنا إلى القول بأنّ نحو العربية ليس نحواً معياريا تعليميا محكوماً بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلام العربي فحسب، بل هو نحو إبداعي.

المراجع والمصادر

- ١- أسلوب طه حسين في كتابه الأيام في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، تأليف الدكتور البدر اوي زهران ، دار المعارف بمصر ١٩٩٠م.
- ٢- الأسلوبية، مدخل نظري و دراسة تطبيقية، للدكتور فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب القاهرة، ١٩٩٧م .
- ٣- الأشباه والنظائر في النحو: لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٥ هـ .
- ٤- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، للدكتور محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس ٢٠٠١م.
- ٥ - الأعلام , لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ
- ٦ - الاغبتاط في حلي مدينة الفسطاط ، لابن سعيد الأندلسي
- ٧ - الإيضاح في علوم البلاغة، (القزويني)، الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـ):شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
- ٨ - بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.
- ٩- البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، (ت ٥٢٨هـ): تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي آخرين، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ١٠- البديع والتوازي ، لعبد الواحد حسن ، مكتبة الإشعاع ، الطبعة الأولى، الاسكندرية ١٩٩٩ م.
- ١١- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (١٦٤)، أغسطس ١٩٩٢م.
- ١٢- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، حقيق الدكتور حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ١٣ - تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، للوتمان، ترجمة الدكتور محمد فتوح أحمد.

- ١٤ - التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، لمحمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء ١٩٩٦ م .
- ١٥ - تقنية التوازي في الشعر الحديث ، للدكتورة عشتار داود محمد ، مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العددان ٤٢١ - ٤٢٢ أيار 2006 م .
- ١٦ - التوازي وخاصة التكرار في مقاطع من شعر دخيل الخليفة، آدم يوسف (شبكة المعلومات العالمية <http://www.alhafh.com/index.php>)
- ١٧ - التوازي ولغة الشعر لمحمد كنوني (شبكة المعلومات العالمية <http://membres.lycos.fr/abedjabri/n> ١٨ ٠٧ <http://kannuni.htm>)
- ١٨ - جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، دار صادر بيروت.
- ١٩ - الجمل المتوازية عند طه حسين (مقال) ، دراسة في أحلام شهر زاد، للدكتور رجب عبد الجواد ، مجلة علوم اللغة، المجلد ٣، العدد ٤، عام ٢٠٠٠م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٢٠ - الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي، "دراسة نحوية دلالية"دكتور محمود محمد سليمان علي الجعيدي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد ٣٢ سنة ٢٠٠٣م.
- ٢١ - جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٣٢م.
- ٢٢ - دور السياق الترجيحي في خطاب المفسرين" للدكتور محمد إقبال العروي (مستشار بقطاع الشؤون الثقافية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت،(شبكة المعلومات العالمية <http://www.arrabita.ma/contenu.aspx?C=٨>)
- ٢٣ - دور نحو الجملة في تفسير النص منهج وتطبيق .
- ٢٤ - ديوان ابن سنّاء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، ومراجعة الدكتور حسين نصار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد (٩١).

- ٢٥- السياق المقامي عند المفسرين" للدكتور إبراهيم أصبان (كلية الآداب، عين الشق-الدار البيضاء .
- ٢٦- سير أعلام النبلاء ، للذهبي
- ٢٧- - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، المكتب التجاري، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢٨- الشعريات والشعرية - بقلم الأستاذ: الطاهر بومزبر وقضايا الشعرية، رومان جاكسون، ص ٨: بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية (منتدى اللسانيات شبكة المعلومات العالمية <http://lissaniat.net/profile.php?mode=register>)
- ٢٩- الشعرية، لتزفتان تودوروف، بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية (منتدى اللسانيات، شبكة المعلومات العالمية <http://lissaniat.net/profile.php?mode=register>)
- ٣٠- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي
- ٣١- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٣٢- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، للشيخ ناصيف اليازجي، المجلد الثاني، دار صادر بيروت.
- ٣٣- علم الجمال الصوتي.
- ٣٤- العقد الفريد
- ٣٥- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- ٣٦- علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، للدكتور صبحي إبراهيم الفقي: دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع، ط ١، القاهرة.
- ٣٧- علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ليرند شبلنر، ترجمة دكتور محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٣٨- غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري
- ٣٩- في تشكيل الخطاب النقدي، للدكتور عبد القادر التيجاني.

- ٤٠- في نحو اللغة وتراكيبها، للدكتور خليل أحمد عميرة ، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٩٠م.
- ٤١- قصيدة النثر أو شعر الانكسار ، للدكتور جميل حمداوي - مجلة أفق الثقافية - عدد الجمعة ٢٨ يوليو 2006 م.
- ٤٢- قضايا الشعرية، لجاكسون، تحقيق محمد الولي ومبارك حنون سلسلة المعرفة الأدبية. دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨١م.
- ٤٣- كتاب الصناعتين: الكتابة، والشعر، لأبي هلال العسكري، حققه وضبطه نصه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- ٤٤- لسان العرب، (ابن منظور)، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، (ت ٧١١ هـ): دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- ٤٥- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، للدكتور محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.
- ٤٦- اللغة والتفسير والتواصل، الدكتور مصطفى ناصف، ص ٩٩. سلسلة عالم المعرفة، يناير ١٩٩٥م.
- ٤٧- مدخل إلى علم اللغة النصي، لفولفجانج هاتيه ودينر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، الرياض، ١٩٩٩م.
- ٤٨- مديح الظل العالي، لمحمود درويش، دار العودة بيروت ١٩٨٤.
- ٤٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، لليافعي .
- ٥٠- المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبيشي، شرحه ووضع هوامشه الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ٥١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي.
- ٥٢- مفاهيم المتعلقة بدراسة الشعر عند الشكلايين، (شبكة المعلومات العالمية <http://thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg/>)

- ٥٣- مفتاح العلوم، للسكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ٥٤- نحو أجرومية للنص الشعري، (مقال) للدكتور سعد مصلوح، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، المجد العاشر، العددان الأول والثاني، يوليو وأغسطس ١٩٩١م.
- ٥٥- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، للدكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م
- ٥٦- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب - لدكتور مصطفى النحاس - ص ٤ - الطبعة الأولى - منشورات ذات السلاسل - الكويت ٢٠٠١م
- ٥٧- النص و الخطاب و الإجراء، لروبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
- ٥٨- نصره الثائر على المثل السائر ، للصفدي.
- ٥٩- نظرية السياق بين القدامى والمحدثين - للدكتور عبد النعيم خليل ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعة الاسكندرية عام 1990م
- ٦٠ - نقد الشعر، لقدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ٦١- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري.
- ٦٢- الوافي بالوفيات الوافي بالوفيات: تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، باعتناء: س. ديد رينغ، دار النشر: فرانز شتايز بفيسبادن، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.